سينما

«شيء جيد» لإنديا دونالدسون

أسئلة المُراهقة وأهمية البوح والإنصات

في أول روائي طويل لها، اختارت إنديا دونالدسون فترة المُراهقة وعلاقتها بالأهل، لتكشف أنّ الإنصات إلى الآخر دربٌ إلى ترتيب أمور عدّة

عبد الكريم قادري

في أول تجربة لها في إنجاز فيلم روائي طويل، اختارت الأميركية إنديا دونالدسون (1984) موضوعاً مُعقّداً للغاية: المُراهَقة بما فيها وعليها. فهذه المرحلة العمرية مفترق طرق فاصل في حياة الإنسان، اختارتها دونالدسون لإنجاز «شيء جيد (Good One)» (2024) كتابةً وإخراجاً، بعد تجارب عدّة في إخراج أفلام قصيرة.

تتمحور قصّة جديدها هذا، المعروض أولاً في الدورة الـ40 (18 . 28 يناير/كانون الثاني 2024) لـ«مهرجان ساندانس السينمائي»، حول المُراهِقة سام (ليلي كولياس)، التي تتّفق مع والدها كريس (جايمس لُغْرو) على التخييم في غابة، مع صديق طفولته مات (داني مكارثي)، الذي كان سيصطحب معه ابنه، قبل أنْ يتشاجرا معاً في اللحظة الأخيرة، فيرفض المجيء معه. يذهب الثلاثة إلى وجهتهم. هناك، في الغابة، يتشكّل الفعل الدرامي بمحاورات ومناقشات، وعودة إلى ماضي كلّ فرد منهم، علماً أنّ المشترك بين كريس ومات تجربة الطلاق، فالأول منفصل عن زوجته ومتزوّج أخرى، وله منها ولدٌ لا يزال صغيراً (ابنته سام تبلغ 17 عاماً)، ومات باقٍ من دون زواج، يعيش مآسي الفراق وتبعاته، ويخوض مشاكل لا تنتهي مع ابنه الذي يكرهه.

في فضاءات الغابة وسكونها، وابتعادهم عمّا يشغلهم في الحياة العادية، ومع غياب شبكة الإنترنت ووسائل التواصل، تتشكّل أحاديث في لحظات صفاء، ويقف كلّ فرد على ما يظنّه سبب تعاسته، أو أسبابها.

الغابة مُعادل موضوعي للبوح والسكون والعزلة، ونقيض الحداثة، ومُضاد قوي لفوضى المدن ومشاكل الحياة بكلّ ما فيها. لذا، كانت فضاءً مناسباً للمصالحة مع الذات، والإنصات إلى الآخر، الذي (الآخر) تعكسه سام بدرجةٍ كبيرة، تلك المُراهِقة التي تتهيّأ لمرحلة الشباب، لكنّها لم تجد من يسمعها كما ينبغي، ومن ينصت إلى أسئلتها وأحلامها باهتمام. حتّى كريس، الذي يعتبر نفسه مُقرّباً منها، لم يكن يستمع إليها كما ينبغي، ولم يسألها عن شعورها إزاء دخولها الجامعة. من ناحية أخرى، هناك مات المجروح من ابنه، فتظهر أشياء، كافتقاده إياه، وحلمه بأن تكون علاقته به كعلاقة صديقه كريس بسام، نظرياً على الأقل. لذا، كانت سام صوت العقل، تشرح وتُقرّب وجهات النظر، إلى درجة أنّ مات وجدها حكيمةً وذكية، فقط لأنّه أنصت إليها جيداً، وهذا يوحي بأنّه لا ينصت كما ينبغي إلى ابنه. كذلك فإنّها استمعت إلى

> مسار ممتدّ للأحداث الدرامية يشبه كثيراً سينما الطريق

تذمّر والدها من أمها، وتعداده مساوئها، والقول إنّها هي التي تركته. لكنّ سام تُعيد القطار إلى سكّته دائماً، بمواجهته بالحكمة. كأنّها مرآة كلّ واحد منهما.

من هنا، يُفهم أنّ التباعد العمري بين الآباء والأبناء لا يُحتوى إلا بالنقاش والإنصات وفهم الآخر، والتعامل معه وفقاً لمرحلته العمرية، لأنّ الإنصات يقود مباشرةً إلى حلّ المشاكل، والتعامل معها بمسؤولية.

رافقت التصوير (ويلسون كاميرون) مشاعر بوح الشخصيات، بالخضرة الممتدّة، والشعاع المنبثق بين الأشجار، وطريقة تنقّل بعض الحشرات وعيشه، إذْ ركّزت الكاميرا على هذا البعض بصُوَر مُقرّبة جداً، كي تظهر طريقة عيشه وتوحّده مع موجودات الغابة. كذلك فإنّها تعكس، بطريقة أو بأخرى، طريقة عيش البشر. شُحِنت تلك الصُّور البصرية بأصوات الأوراق والنهر والمطر، فيتوحّد الإنسان مع الطبيعة ويُنصت إليها جيداً، ويُصبح جزءاً من الغابة، وبالتالي يتحتّم عليه التعامل مع الآخر من دون تصنّع أو تكلّف، فيكون للبوح معنى.

في معالجتها الإخراجية لـ«شيء جيّد»، المعروض في «نصف شهر السينمائيين» في الدورة الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024) لمهرجان «كانّ»، اعتمدت إنديا دونالدسون على المسار الممتد للأحداث، وهذه طريقة تشبه كثيراً «سينما الطريق»، وتتقاطع معها في عناصر كثيرة. وهو أسلوب غير مُجهد في الكتابة، وغير مُعقّد في الإخراج. لهذا، اعتمدت دونالدسون على مسارات الحوار والنقاش والمشاهد الطويلة، لأنّ القيم الفكرية ومشاعر الندم والوقوف على الأفعال السلبية نتيجة مرسومة غالباً، كما إفرازات محورية لتلك النقاشات، وبالتالي تحوّلت إلى قيمة إنسانية أعطت للفيلم بُعداً إنسانياً، ومغزى فكرياً، ومنطلقات جمالية عدّة. استطاعت دونالدسون خلق رابطٍ مهمّ بين ليلي كولياس والمتلقّي، بتركيز الكاميرا على ملامحها البريئة والغامضة والمُشعّة، وربطها بنقاطٍ معيّنة من تلك النقاشات. كأنّها توجّه المتلقّي إليها، ليستمع إلى كلامها، ويفهم صوتها عبر اللغة السينمائية القوية، التي خلقتها انفعالاتها الجسدية وملامحها.

«شيء جيد» تجربة سينمائية معقولة، لكنّها ليست مختلفة أو مميّزة بشكل كبير. مشاركته في «نصف شهر السينمائيين» يثير تساؤلات عن خيارات إدارته، خصوصاً لمن تعدّدت مُشاهداته عام 2024. لكنْ، لا بُدّ من الإقرار بأن لدونالدسون موهبة سينمائية يمكن أنْ تُطوّرها مستقبلاً، لتقديم أعمالٍ أعمق وأكثر تميّزاً، وربما لتتجاوز والدها روجر دونالدسون، المخرج والمنتج والسيناريست الأسترالي . النيوزيلندي، المنفصل هو الآخر عن والدتها باكراً. لعلّها، بهذا الفيلم، تعكس صورة من سيرتها ووجعها من ألم الفَقْد.

ليلي كولياس في «شيء جيد»: مُراهقة حكيمة بملامح بريئة (المَوقع الالكتروني لـ«نصف شهر السينمائيين»)

أفلام جديدة

■ The Gazer لراين ج. سْلُوان، تمثيل أرييلا ماستروياني (Getty)، وجاك ألبرتس: شابة تنفصل عن ابنتها رغماً عنها، وتتولّى وظائف غريبة، وتكافح اضطراباً عقلياً يُشوّه إدراكها الوقت والواقع. في اجتماع مجموعة دعم، تقبل صفقة غامضة مع أحد المشاركين. صُوِّر الفيلم بميزانية ضئيلة، وشاركت في كتابته الممثلة الرئيسية ماستروياني.

■ Something Old، Something New، Something Borrowed لهرنان روسّيلّي، تمثيل ماريبال فِلْبيتو (الموقع الإلكتروني لـ«نصف شهر السينمائيين»)، وأليخاندرا كانيبا: في إحدى ضواحي بوينس آيرس، التي تسكنها الطبقة العاملة، أنشأت عائلة فيلبيتوس شركة مزدهرة للمراهنات الرياضية. عندما توفي بطريركها، تولّت الأم وابنتها بشكل طبيعي الأعمال السرّية. لكنّ الزمن يتغيّر بالنسبة إلى وكلاء المراهنات: تطهير وتفتيش يقوم بهما رجال الشرطة، وأسرار العائلة تظهر فجأة.

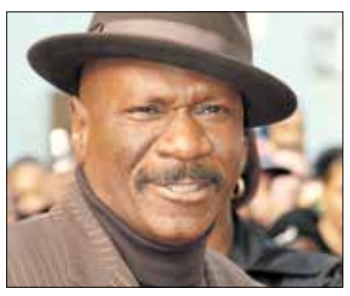

■ The Instigators لدوغ ليمان، تمثيل مات دايمون وكايسي آفلك وفينغ راميس (Getty): روري رجل عائلة يواجه مشكلةً تلو أخرى. هذا يقوده إلى تنظيم عملية سطو مع كوبي، السجين السابق الذي التقاه في مكتب طبيبه النفسي. معاً، يستهدفان سياسيّاً مُحتالاً وفاسداً. بعد أفعالهما السيئة، سيجد الرجلان نفسيهما مُطارَدَين من رجال الشرطة والمافيا في الوقت نفسه، وأيضاً من السياسي الذي يريد الانتقام.

■ Finalement لكلود لولوش، تمثيل كاد مِراد وباربرا بْرافي (FilmMagic): محامٍ لامع لم يعد قادراً على الكذب والاحتيال والنفاق، بعد تعرّضه لمشكلة صحية. لاحقاً، يُقرّر القيام برحلة برية عبر فرنسا: «يأخذ جديد لولوش (الفيلم الـ51)، المُنسّق كقصّة حبّ بين البوق والبيانو، مظهر الخيال الموسيقي»، كما في تعبير نقدي فرنسي، علماً أنّ موسيقاه التصويرية الأصلية وضعها اللبناني الأصل إبراهيم معلوف.

■ Apocalipsis Z: لكارلس تورّينس، تمثيل فرنشيسكو أورتيز وخوسي ماريا يزبيك وبيرتا فاسكيز (Getty): يُدمّر فيروس قاتل دولة تلو أخرى فجأة، في أوقاتٍ عصيبة يمرّ بها العالم، ولا يترك وراءه سوى جثثٍ متحرّكة، بعضها عالقٌ بين الحياة والموت، وهذا أسوأ وأخطر شيءٍ. مانيل، الذي يعيش الآن بمفرده، يجب أنْ يتمكّن من البقاء حيّاً مع قطته، لأسباب تنكشف لاحقاً.

«برتقالة من يافا» على حاجز إسرائيلي

اشتغالات مهنيّة عادية عن معاناة يومية

نديم جرجوره

«برتقالة من يافا» (2023) لمحمد المغني، الفائز بالجائزة الكبرى الدولية في الدورة الـ46 (10.2 فبراير/شباط 2024) لـ«مهرجان كليرمون فيران الدولي للأفلام القصيرة»، محاولة بصرية لمعاينة حالة يُعانيها فلسطينيون وفلسطينيات كثيرون. محاولة تمتلك، سينمائياً، أداوتٍ، يُعبَّر بها عن المرغوب فيه، تلقائياً وببساطة، وبشيءٍ من عفوية تمثيل (حِرفية كامل الباشا واضحةً وجميلة).

الحالة تلك تتمثّل بـ«الحاجز الإسرائيلي»، الذي يخترق جغرافيا الأرض، ويُصيب نفوساً وعقولاً وأجساداً بقهر وألم وأذيّة. فأنْ يعلّق فلسطينيّ/فلسطينية على حاجزٍ إسرائيلي، يمنعه جنوده/جنودياته من عُبورٍ بين مدينة وأخرى، في بلده المحتلّ، يعني أنّ حرباً أخرى تُخاض يومياً، وأنّ موافقةً على عبور تعكس انتصاراً ولو صغيراً، وأنّ الاحتلال يتفنّن، منذ 76 عاماً على الأقل، في ابتكار أنماطٍ من الذلّ والقمع والإهانة، والقتل متنوّع الأشكال.

«برتقالة من يافا» (27 د.) يروي حكاية معروفة لتكرارها اليومي. محمد (سامر بشارات) يريد لقاء أمّه في يافا، لكنّ جنود حاجز قلنديا يمنعونه من العبور، رغم امتلاكه إقامة أوروبية (بولندا). يجهد في الوصول إلى معبر حِزما، لكنّ سائقي سيارات الأجرة يرفضون ذلك، تجنّباً لمشاكل مع الإسرائيليين. وحده فاروق (كامل الباشا) يقبل، إذْ لديه موعدٌ مع من يبدو أنّه رجل أعمال، لإيصاله إلى مكانٍ ما، ولا يريد أي تأخير. في حاجز حِزما، يُعلق الثنائي في سيارة تكاد تكون جغرافيا ضيّقة، وعالماً منغلقاً. وهذا رغم أنّ اليومَ سبتٌ، والسبت مُقدّس عند اليهود. يتساءل محمد: «ألن يُفترض بهم أنْ يكونوا (الجنود والجنديات) في منازلهم الآن؟»، فيُجيبه فاروق بعصبيّة: «أنت من يجب عليه أنْ يكون في منزلك».

الحاصل في السيارة عاديّ وطبيعي. الانتظار ثقيل الوطأة أصلاً، فكيف إنْ كان المُنتظِر فلسطينياً، والحاجز إسرائيلياً؟ قلق فاروق متأتٍ من إمكانية تأخّره في الوصول في الوقت المتّفق عليه، ومن انتزاع السيارة منه. ارتباك محمد ناجمٌ من مسألتين: خشيته، أو خوفه (بصفه فاروق بالجبان، مُضيفاً أنّه كذّاب أيضاً، لأنّه لم يُخبره بمنعه من عبور حاجز قلنديا) من مواجهة جندي إسرائيلي، وتوتّره بسبب إمكانية تأخّره (هو أيضاً) عن لقاء والدته في الوقت المحدّد، إذْ لديهما (والدته وهو) موعدٌ مع أهل من يُفترض بمحمد أنْ يلتقيها لزواج ربما.

يطول الوقت، ولن يتمكنا من تحقيق المُراد. بانتظار قرار الإسرائيلي، يكون كلامٌ بينهما، بعضه خاص بعائلة فاروق (خمس صبايا يتعلّمن جميعهنّ في المدرسة، تعلّقه بسيارة الأجرة التي تُعيله وعائلته، مرضٌ في القلب، إلخ.). لحظات يُراد لها سخرية من جندي إسرائيلي (حركات عسكرية. السبب؟ التقاط صُور له) لإثارة ضحكة أو متنفّس، تمرّ عادية. ساعاتٌ تنتهي بنتيجة مخيّبة لهما، وهما ينتميان إلى جيلين عالِقَين في حاجزٍ ثابتٍ ودائم: هذا تفصيلٌ يكاد يكون الأهمّ في نصّ محمد المغني. لكنّ برتقالة من يافا في سيارة فاروق، يتقاسمانها معاً، تجعلهما يضحكان على ما لن يعرفا سببه، أو ربما يعرفانه فيتجاوزانه في عتمة ليلٍ ضاغطٍ.

اشتغالات «برتقالة من يافا». الفائز بـ«نجمة الجونة الفضية» (مسابقة الفيلم القصير) مناصفةً مع «كيف استعدنا والدتنا» (2024) للبرتغالي جونكالو وادينغتن، في الدورة السابعة (24 أكتوبر/تشرين الأول . 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2024) لـ«مهرجان الجونة السينمائي» . غير باهرة، لكنّها مهنيّةٌ تصنع مشهداً إضافياً عن معاناةٍ فلسطينية مع محتلّ غير آبه بأحدٍ أو بشيء. فيلمٌ قصير عن مسألة جوهرية في يوميات الفلسطينيين والفلسطينيات. هذا كافٍ.

كامل الباشا وسامر بشارات: حكاية يومية مشغولة بمهنيّة عادية (الملف الصحافي)

> جيلان فلسطينيان يلتقيان عند حاجز إسرائيلي ثابت ودائم